الصلة بين الإعراب والمعنى
في آيـات السجدة في القرآن الكريـم

م.د. منـى فاضل إسماعيل*

تأريخ التقديم: ٢٠١٧/١١/٢٣ تأريخ القبول: ٢٠١٨/١/٣

المقدِّمة:

يُعنى هذا البحث بدراسة الصلة بين الإعراب والمعنى في آيات السجدة في القرآن الكريم، ومحاولة الوقوف على وجه الصلة بينهما وصولاً إلى إدراك المقصد من السجود أو الغرض الذي ترمي إليه آية السجدة. ولكل من الإعراب والمعنى أثره في الآخر، فإما أن يكون الإعراب هو الطريق إلى توضيح المعنى وفهمه، أو يكون المعنى موجِّهاً للإعراب لاسيما إذا تعددت أوجهه بترجيح وجه من دون آخر. وجاء البحث مقسماً على ثلاثة مباحث ، تناول المبحث الأول الإعراب لغةً واصطلاحاً، في حين تضمن المبحث الثاني الصلة بين الإعراب والمعنى، واشتمل المبحث الثالث على تحليل آيات السجدة على وفق ترتيبها في المصحف، وانتهى البحث بخاتمة ضمت أبرز النتائج التي توصل إليها.

المبحث الأول
الإعراب لغةً واصطلاحاً

١.**الإعراب لغةً:** هو من (عَرِبَ) وعنه قال الخليل (ت ١٧٥هـ) : " وأعربَ الرجلُ: أفصحَ القولَ والكلامَ وهو عَربانِيُّ اللسانِ أي فصيحٌ"(١) ، " وعَرُبَ لسانُه بالضم أي صار عربياً، وأعربَ كلامَهُ إذا لم يَلْحَنْ في الإعراب، وأعربَ بحُجّتِهِ أي أفصحَ بها ولم يتّقِ أحداً... وعَرَّبَ منطقهُ، أي هذَّبَهُ من اللحنِ... والتعريبُ: قطعُ سعفِ النخلِ، وهو التشذيبُ...

---

* قسم اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة الموصل .

(١) كتاب العين، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال–بيروت، (د.ط)، (د.ت): ١٢٨/١.

والعَرِبُ أيضاً: فسادُ المعدةِ. يقال: عَرِبتْ معدتُه بالكسر، فهي عَرِبَةٌ"[١] ويدلُّ على " الإبانةِ والإيضاحِ... أعربَ الرجلُ عن نفسهِ، إذا بيّنَ وأوضحَ" [٢] ، " وإعرابُ الكلامِ: إيضاحُ فصاحته"[٣] ، " وإنما سُمِّيَ الإعرابُ إعراباً لتبيينه وإيضاحهِ... والإعراب الذي هو النحوُ إنما هو الإبانةُ عن المعاني بالألفاظِ... ويقال: عرَّبتُ له الكلام تعريباً وأعربتُ له إعراباً إذا بيَّنتُهُ له حتى لا يكون فيه حضرمةٌ"[٤] .

ولكل ما ذُكِرَ يظهر أن المعنى اللغوي للإعراب إنما يدلُّ على الإفصاح والإيضاح والبيان.

٢.الإعراب اصطلاحاً:

ذكر العلماء في الإعراب حدوداً وتعريفات، منها ما قاله أبو البركات الأنباري (٥٧٧هـ): " أما الإعرابُ فحدُّه اختلاف أواخر الكلم باختلاف العوامل لفظاً أو تقديراً"[٥] و " الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم لتعاقب العوامل في أولها"[٦] ، أو هو " أثرٌ ظاهرٌ أو مقدَّرٌ يجلبه العامل في محل الإعراب وهو الآخر"[٧] .

---

(١) تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري(بحدود ٣٩٣هـ إلى ٤٠٠هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين–بيروت–لبنان، ط٢، ١٤٠٠هـ–١٩٨٧م : ١٧٩/١.

(٢) مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع–بيروت، (د.ط)، ١٣٨٩هـ–١٩٧٩م : ٢٩٩/٤.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم–دمشق، الدار الشامية –بيروت، ط٥، ١٤٣٣هـ–٢٠١١م : ٥٥٧.

(٤) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري (٧١١هـ)، دار صادر للطباعة والنشر–بيروت، (د.ط)، ١٣٧٤هـ–١٩٥٥م : ٥٨٩/١.

(٥) أسرار العربية أبو البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق– دمشق، (د.ط)، ١٩٥٧م : ١٩.

(٦) شرح المفصل، موفق الدين بن أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (٦٤٣هـ)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية–بيروت–لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ–٢٠٠١م : ١٩٦/١.

(٧) همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال عبدالرحمن ابن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية–بيروت–لبنان، ط١، ١٤١٨هـ–١٩٩٨م : ٥٤/١.

المبحث الثاني

صلة الإعراب بالمعنى

لعل من أبرز المزايا التي تتسم بها اللغة العربية هي ظاهرة الإعراب، ولا غرو في ذلك، فاللغة العربية التي اختص بها المولى تعالى القرآن الكريم هي لغة مُعربة ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال قراءة القرآن الكريم ولا فهم معاني آياته ومقاصدها من دون الإعراب، والأمر نفسه يقال عند قراءة الحديث النبوي الشريف فضلاً عن الشعر وفنون النثر، فحينئذٍ تظهر الحاجة إلى أمرين معاً: الإعراب والمعنى بقصد الفهم.

والمذكور آنفاً أكده الزجّاجي(٣٣٧هـ) في (باب ذكر الفائدة من تعلم النحو) حين قال: "فإن قال قائلٌ: فما الفائدة في تعلّم النحو، وأكثر الناس يتكلمون على سجيتهم بغير إعرابٍ ولا معرفةٍ منهم به، فيَفهمون ويُفهِمون غيرهم مثل ذلك؟ فالجواب في ذلك أن يُقال له: الفائدة فيه الوصول إلى التكلم بكلام العرب على الحقيقة صواباً غير مبدّل ولا مغيِّر، وتقويم كتاب الله (ﷻ) الذي هو أصل الدين والدنيا والمعتمد، ومعرفة أخبار النبي (ﷺ) وإقامة معانيها على الحقيقة، لأنه لا تُفهم معانيها على صحةٍ إلا بتوفيتها حقوقها من الإعراب... فأما من تكلم من العامة بالعربية فيُفهم عنه، فإنما ذلك في المتعارف المشهور والمستعمل المألوف بالدراية. ولو التجأ أحدهم إلى الإيضاح عن معنىً ملتبس بغيره من غير فهمه بالإعراب لم يمكنه ذلك."[(١)] وهكذا يتضح ما للإعراب من أثرٍ في فهم المعنى مما يؤكد الصلة الوثيقة بينهما.

وليس بمستغربٍ إدراك علمائنا القدامى لتلك الصلة، فقد انبرى العديد منهم لتصنيف الكتب التي تتناول قضية الإعراب والمعنى، وأولوها عنايتهم نحو ما صُنِّف من كتب معاني القرآن وإعرابه ومنها: كتاب (معاني القرآن) للفرّاء (٢٠٧هـ)، (معاني القرآن وإعرابه) للزجّاج (٣١٥هـ)، (إعراب القرآن) لأبي جعفر النحاس (٣٣٨هـ)، إلى غير ذلك من المصنفات التي وصلت إلينا.

---

(١) الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحق الزّجاجي، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس–بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م: ٩٥،٩٦.

وربما كان الفرّاء أو من ربط المعنى بالإعراب ويظهر ذلك في كتابه (معاني القرآن) نحو قوله في الآية الكريمة: ﴿وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة:٢١٤]: "قرأها الفرّاء بالنصب إلا مجاهداً وبعض أهل المدينة فإنهما رفعاها . ولها وجهان في العربية: نصب، ورفع. فأما النصب فلأن الفعل الذي قبلها مما يتطاول كالترداد. فإذا كان الفعل على ذلك المعنى نصب بعده بحتى وهو في المعنى ماضٍ. فإذا كان الفعل الذي قبل حتى لا يتطاول وهو ماضٍ رُفِع الفعل بعد حتى إذا كان ماضياً. فأما الفعل الذي يتطاول وهو ماضٍ فقولك: جعل فلان يديم النظر حتى يعرفَك، ألا ترى أن إدامة النظر تطول. فإذا طال ما بعد حتى ذهب بها بعدها إلى النصب إن كان ماضياً بتطاوله"[١] ، فهاهنا إشارة إلى ربطه المعنى بالإعراب، لأن الفعل (زُلزِلوا) يدل على امتداد فعل الزلزلة واستغراقه زمناً وحدوثه في زمن ماضٍ مما يفسر سبب نصب الفعل (يقولَ) بعد حتى.

ومن العلماء من بثّ آراءه في مسألة الإعراب والمعنى في كتبه التي وصلت إلينا على نحو ما فعل ابن قتيبة(٢٧٦هـ) حين أعطى الإعراب بعض الأهمية في التفريق بين المعاني بقوله: "ولها الإعراب الذي جعله الله وشياً لكلامها وحليةً لألفاظها وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين والمعنيين المختلفين، كالفاعل والمفعول لا يفرق بينهما إذا تساوت حالاهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلا بالإعراب، ولو أن قائلاً قال: (هذا قاتلٌ أخي) بالتنوين، وقال آخر: (هذا قاتلُ أخي) بالإضافة، لدل بالتنوين على أنه لم يقتله ودلّ عدم التنوين على أنه قد قتله"[٢].

أمّا المبرِّد (٢٨٥هـ) فقد أشار إلى أثر الإعراب في تحديد المعنى النحوي بقوله: "إنما كان الفاعل رفعاً والمفعول به نصباً ليُعرف الفاعل من المفعول"[٣] .، وهو ما ذهب إليه الزجّاجي من أن علامات الإعراب تُنبئ عن معاني الفاعلية والمفعولية والإضافة[٤].

---

(١) ١/١٣٢، ١٣٣.

(٢) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة(٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م: ١٤.

(٣) المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، دار الكتب المصرية-القاهرة، ط٣، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م: ١/١٤٦.

(٤) ينظر: الإيضاح في علل النحو: ٦٩.

ونسوق هنا نصاً لابن جني (٣٩٣هـ) يفصح فيه عن الصلة بين الإعراب والمعنى في (باب القول على الإعراب) أنه: "الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت : (أكرمَ سعيدٌ أباه، وشكرَ سعيدٌ أبوه) علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه"(١). ثم قال: "ألا ترى أن استمرار رفع الفاعل ونصب المفعول إنما هو للفرق بين الفاعل والمفعول وهذا الفرق هو أمر معنوي أصلح اللفظ له وقيّد مفاده الأوفق من أجله"(٢). "فابن جني يقرر بهذا أن الإعراب دلالة لفظية تحدد المعنى لكل كلمة في البناء التركيبي النحوي، ثم تبين صلة كل كلمة بما قبلها وما بعدها في أداء المعنى، وهذا يعني أن كل حركة إعرابية لها أثرها في الدلالة المعنوية، وبيان وجه الربط بين الكلمات"(٣).

ولا يبعد ابن فارس (٣٩٥هـ) عن آراء سابقيه في أن للإعراب أثره في إيضاح المعنى، وهو ما ذكره في (باب الخطاب الذي يقع به الإفهام من القائل والفهم من السامع) حين قال: "فأمّا الإعراب فبه تُميَّز المعاني ويُوقف على أغراض المتكلمين، وذلك أن قائلاً لو قال: ((ما أحسن زيد)) غير معربٍ، أو ((ضرب عمر زيد)) غير معرب لم يوقف على مراده. فإذا قال: ((ما أحسن زيداً !)) أو ((ما أحسنَ زيدُ)) أو ((ما أحسنُ زيدٍ؟)) أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده. وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها، فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني... ومن ذلك (جاء الشتاءُ والحطبَ) ولم يرد أن الحطب جاء، إنما أراد الحاجة إليه، فإن أراد مجيئهما معاً قال: (والحطبُ) ، وهذا دليل يدل على ما وراءه"(٤). وهذا المذكور يدل على أن اختلاف علامة الإعراب جعل المعنى يختلف من

---

(١) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة–بغداد، ط٤، ١٩٩٠م: ٣٤/١.

(٢) م.ن: ١٥٠/١.

(٣) أهداف الإعراب وصلته بالعلوم الشرعية والعربية، الدكتور عبد القادر عبد الرحمن السعدي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٥، ع ٢٧ ، جمادى الثانية، ١٤٢٤هـ: ٥٨٥.

(٤) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد صقر، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع–القاهرة، ط١ (مزيدة ومنقحة)، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٥م : ٣١٩،٣٢٠.

تركيب إلى آخر مما يؤكد صلة الإعراب بالمعنى. وبالعودة إلى الجرجّاني (٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) يتضح أن الإعراب عنده يعد المفتاح الذي يمكّن المستمع من فهم المعنى المراد" إذ كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون هو المستخرج لها"[١].

وهناك من العلماء من رأى أن للمعنى أثر في توجيه الإعراب–منهم ابن هشام الأنصاري (٦٧١هـ)– لأن أول واجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه مفرداً أو مركباً، وقد ساق لذلك عدداً من الأمثلة التي إذا اعتمد فيها المعرب على ظاهر اللفظ من دون فهم المعنى حصل الفساد، ومنه إعراب لفظة (أحوى) في قوله تعالى:﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ﴾ [الأعلى: ٥]، فإن كان بمعنى الأسود من الجفاف واليَبْس فهو صفة لغثاء، وأما إن فُسّرَ بالأسود من شدة الخضرة لكثرة الري كما فسر (مُدهامّتان) فليس صحيحاً أن يكون صفة، إنما الواجب أن يكون حالاً من المرعى في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ﴾ في الآية السابقة، وأُخِّرَ لتناسب الفواصل[٢].

إن الإعراب بوصفه عكس البناء يدل على معنى، ولا يتأتى هذا المعنى إن كانت اللفظة مبنية، وذلك يتضح في الأبواب النحوية التي يدخل فيها الإعراب والبناء معاً نحو باب النداء وباب (لا) النافية للجنس، إذ يظهر ما للإعراب من أثر في فهم الجمل وتحليلها، ففي باب (لا) النافية للجنس يكون اسم (لا) معرباً إذا كان مضافاً أو شبيهاً بالمضاف، ومبنياً إذا كان مفرداً، ففي قولنا: ((لا فاعلَ خيرٍ نادمٌ)) كان لابد من إعراب (فاعل) لكي تدل بإعرابه على أن النفي قد وقع عليه وحده من دون غيره، فدل الإعراب هنا على

(١) دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ)، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي–القاهرة، ط٥، ١٤٢٢هـ–٢٠٠٤م: ٢٨.

(٢) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري المصري (٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية–صيدا–بيروت–لبنان، طبعة جديدة منقحة، ١٤٢٧هـ–٢٠٠١م : ١/٦٠٥، ٦١٤ والبرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (٧٩٤هـ)، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث–القاهرة، (د.ط)، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م : ٣١٠، ٣١١.

التعيين والإظهار، بخلاف قولنا: ((لا رجلَ في الدار)) ، فإن (لا) هنا تفيد نفي الجنس أي أن المعنى نفي وجود جنس الرجل في الدار ولذلك كان اسمها مبنياً[١].

وثمة ما يؤكد الصلة بين الإعراب والمعنى أن صحة المعنى وفساده يتحكم به الإعراب نحو قوله تعالى : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [التوبة : ٣] ، فلو غُيرت حركة (رسولُه) من الضمة إلى الكسرة لانتقض المعنى وفسد ، ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[فاطر : ٢٨] ، فلو غيرت حركة الإعراب فيه برفع لفظة الجلالة (اللهُ) ونصب (العلماءَ) لانعكس المعنى وصار الله خاشياً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وأيضاً فإنه لا يمكن انكار أن للإعراب دلالة على المعاني المختلفة ، ففي نحو قولنا :((أرهب الناس سلمان)) فان معنى الجملة لا يتضح من دون إعراب ولاحتمل معاني عديدة منها: أرهبَ الناسُ سلمانَ ، أرهبَ الناسَ سلمانُ ، أرهبُ الناسِ سلمانُ ، أرهبِ الناس سلمانُ ولكل منها معنىً مختلفاً كما يبدو واضحاً[٢].

ولكل ما سبق ذكره يمكن القول إن كلاً من الإعراب والمعنى يتشاطران الصلة بينهما ، فالإعراب يسهم في توضيح المعنى ، لكن يمكن أن تنعكس المسألة ليصبح المعنى طريقاً لمعرفة مجئ الإعراب على وجه معين من دون آخر ، وعليه فإنه لا يمكن التهوين من أثر كل منهما في الآخر.

---

(١) ينظر: ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم، الدكتور أحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية–الاسكندرية، (د.ط)، ١٩٩٤م: ٤٤،٤٥.

(٢) ينظر : الجملة العربية والمعنى ، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الفكر–عمان–المملكة الأردنية الهاشمية، ط٢، ١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م : ٣١،٣٤.

المبحث الثالث

تحليل الآيات

تنويه: استثنيت الآية (٦٢) من سورة النجم من التحليل بسبب خلوها من مظاهر الإعراب.

١. في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾[الأعراف : ٢٠٦] وردت الآية الكريمة لتظهر جانباً من اجتهاد الملائكة في طاعة الله تعالى وعبادته[١]، فعُدل عن لفظة (الملائكة) إلى الاسم الموصول (الذين) لما تؤذن به الصلة من رفعة منزلتهم عند المولى تعالى[٢]. وجاء الإخبار عنهم بأمور ثلاثة: أحدها: نفي استكبار الملائكة عن عبادة الله تعالى وذلك إظهاراً للعبودية وإثباتاً للطاعة، الثاني: إثبات تسبيحهم لله سبحانه وتنزيهه عن كل ما لا يليق بذاته الكريمة، الثالث: ذكر سجودهم للخالق تبارك وتعالى. ولما كانت العبادة ناشئة عن انتفاء الاستكبار وكانت على قسمين: عبادة قلبية وأخرى جسمانية ذكرهما، فالقلبية هي التسبيح والتنزيه عن كل سوء، والجسمانية هي السجود[٣].

ومعلوم أن اللفظة إذا اتصلت بما قبلها فإنها تتصل بمعناه، فضلاً عن أنها تأخذ حكمه الإعرابي بالعطف، وإذا انقطعت عن قبلها دخلت جملة مستأنفة لها معناها المستقل وحكمها الإعرابي المستقل أيضاً[٤]. وعليه فالراجح أن تكون الواو الواردة هنا هي واو

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (٥٤٦هـ)، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م: ٤٩٥/٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع-تونس، ط٢، (د.ط)، (د.ت): مج٤، ج٩ /٢٤٣.

(٣) ينظر: البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي(٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م : ٤٩٩/٤، ٤٥٠.

(٤) ينظر: الإعراب والمعنى في القرآن الكريم، الدكتور محمد أحمد خضير، مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة، (د.ط)، (د.ت): ١٦١.

العطف وليست واو الاستئناف ، إذ ورد العطف بها متساوقاً مع المعنى الذي أشارت إليه الآية الكريمة، فعطف الفعل المضارع المرفوع (يسجدون) على نظيره الفعل (يسبحونه) الذي عطف هو الآخر على المضارع المنفي (لا يستكبرون) وذلك من باب "عطف الخاص على العام"[١] لأنه ابتدئ بذكر عبادة الملائكة لله تعالى وهي عامة، ثم أعقبه ذكر التسبيح والسجود وكل منهما نوع من العبادة فضلاً عن أن ثبوت النون في الفعل (يستكبرون) دل على أن (لا) هنا نافية وليست ناهية يؤكد ذلك المعنى العام للآية لأن المعنيّ بالسجود هم (الملائكة) مما يوحي بالصلة بين الإعراب والمعنى، وذلك بمجمله يشير إلى أن مقصد السجود في هذا الموضع هو (العبادة).

٢. ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ [الرعد : ١٥] ذكر أن السجود في هذا الموضع يدل على أمرين: أحدهما: السجود على الهيأة المعهودة من وضع الجبهة على موضع السجود. والآخر: أن يكون دالاً على الخضوع والانقياد لله تعالى[٢]. وثمة مسألتان ترجحان المعنى الثاني من دون الأول، الأولى: مجيء الاسم الموصول (مَن) الذي يستعمل للعاقل[٣] والذي أسند إليه فعل السجود ليكون فاعله، لأن المعنى يحكم بذلك لغياب العلامة الإعرابية، فضلاً عن أنه يمكن إدراك تلك العلامة من لفظة (ظلالهم)، المعطوفة على (مَن) بالواو، لأن المعطوف يشترك مع المعطوف عليه في العلامة الإعرابية، "لأنه شريكه في العامل"[٤]، ومعلوم أن "تأثير العامل يكون لفظياً في العلامة الإعرابية كما يكون معنوياً متمثلاً في وصول معنى العامل إلى المعمول وفي اعتبار الموضع الإعرابي"[٥]. وتشريك الظلال في

(١) مغني اللبيب: ٤١١/٢ وينظر: معاني النحو، الدكتور فاضل صالح السامرائي، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي–بيروت–لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م : ٢٣١/٣.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٣٠٥/٣، البحر المحيط: ٣٦٩/٥.

(٣) ينظر: المقتضب: ١٧٩/١، معاني النحو: ١١٩/١.

(٤) م.ن: ٢١١/٤.

(٥) الإعراب والمعنى في القرآن الكريم: ١٠٧.

السجود يؤكد معنى خضوع العالم كله وانقياده لله تعالى[١]، وعليه فإن في هذا العطف ملحظ إلى الصلة بين الإعراب والمعنى.

والمسالة الأخرى قوله تعالى: ((طَوْعًا وَكَرْهًا)) ، فقد ذكر أن الساجد لله تعالى طوعاً هم الملائكة ومن دخل من الناس في الإسلام رغبة فيه أو من وُلد مسلماً، أما الساجد كرهاً فهو من أَجبرَ على الإسلام[٢]. واشترط النحاة في الحال أن تكون مشتقة، فإذا جاء المصدر منصوباً وفيه معنى الحال، أجاز النحاة أن يكون مفعولاً مطلقاً على اللفظ أو حالاً في المعنى مقدِّرين ذلك المعنى[٣]، وعليه فإن إعراب (طوعاً وكرهاً) فيه وجهان: إما أن يكون حالاً على تقدير طائعين ومُكرَهين أو منصوباً على المصدر المؤكَّد بفعل مضمر[٤]. والعدول من الوصف (المشتق) إلى المصدر يصحبه عدول من معنى إلى معنى آخر، فيتسع المعنى بذلك[٥]، فالتعبير بالوصف (طائعين ومكرهين) يعطي معنى واحداً فحسب هو (الحالية) لأنه يبين هيأة الساجدين لله تعالى، أما التعبير بالمصدر (طوعاً وكرهاً) فهو يضيف معنىً آخر هو المفعولية المطلقة أي (يطيعون طوعاً ويُكرهون كرهاً) وهذا تعزيز لمعنى الخضوع والانقياد الذي أشير إليه، ومن ثَمّ يتضح أثر الإعراب في توسع المعنى في هذا الموضع الذي يمثل وجهاً من وجوه الصلة بينهما.

٣. ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [النحل : ٤٩] ورد ذكر السجود في هذا الموضع ليكون المقصود به إما سجود ملائكة

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ٣٦٩/٥.

(٢) ينظر: معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، عالم الكتب–بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ–١٩٨٠م : ٦١/٢، معاني القرآن وإعرابه، أبو اسحق إبراهيم بن السرِّي الزجّاج (٣١١هـ)، شرح وتحقيق: الدكتور عبدالجليل عبده شلبي، دار الحديث–القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٤م: ١١٧/٣.

(٣) ينظر: الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن قنبر (١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي–القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م : ٣٧٠/١، المقتضب: ٢٣٤/٣.

(٤) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم –دمشق، (د.ط)، (د.ت) : ٣٦/٧.

(٥) ينظر: معاني النحو: ٢٥٠/٢.

السماء والمخلوقات التي تدب على وجه الأرض، فضلاً عن سجود ملائكة الأرض وهم الحفظة الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٨] [١]، وجاء إفراد ملائكة الأرض بالذكر في قوله: ((وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ)) تشريفاً لهم وتكريماً، أو أن يكون المراد هو سجود ما في السموات من الملائكة والشمس والقمر والنجوم وغيرها من المخلوقات وما في الأرض من الدواب ومن الحفظة[٢]، مما يعني شمولية السجود. ولعل المعنى الثاني هو الأرجح وذلك لأنه أخبر بالاسم الموصول (ما) الذي يقع على ذوات غير العاقل وصفات العاقل[٣]، وذلك "لغلبة ما لا يعقل على من يعقل في العدد، والحكم للأغلب كتغليب المذكر على المؤنث"[٤]، وعليه فقد "جيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم إرادة العموم"[٥]، والمذكور آنفاً متعلق بالمعنى.

أما ما يتصل بالإعراب فإنه ذو صلة وثقى بما ذُكر من معنى، ففاعل السجود هو الاسم الموصول (ما) يؤكد ذلك "عطف (والملائكة) على ما في السموات وما في الأرض، وهم مندرجون في عموم (ما)... ولما كان بين المكلفين وغيرهم قدر مشترك في السجود وهو الانقياد لإرادة الله جمع بينهما فيه وإن اختلفا في كيفية السجود"[٦]. وهنا يبرز أثر الإعراب في توجيه المعنى الذي يعد أحد وجوه الصلة بينهما، فلو كان العطف على

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١٦٥/٣، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب–الرياض– المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٢هـ–٢٠٠٣م : ١١٢/١٠، ١١٣.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١١٣/١٠.

(٣) ينظر: المقتضب: ١٧٩/١، معاني النحو: ١٢٠/١.

(٤) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م : ٢٢/٥.

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (٥٣٨هـ)، رتبه وضبطه وصححه: محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية–بيروت–لبنان، ط٥، ٢٠٠٩م : ٥٨٦/٢، وينظر: التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه–دار الكتب، (د.ط)، ١٩٧٦م : ٧٩٨/٢.

(٦) البحر المحيط: ٤٨٣/٥.

قوله: ((دابةٍ)) بدلاً من: ((مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ))، لاشتركت اللفظتان (الملائكة) و (دابة) في العلامة الإعرابية نفسها، ولرجح المعنى الأول بدلاً من الثاني.

٤. في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ﴾ [الإسراء : ١٠٧] تعددت الآراء التي قيلت حول المعنيِّ بهم السجود في الآية الكريمة، فذكر أنهم مؤمنو أهل الكتاب، أو الذين كانوا يطلبون الدين الحق قبل مبعث النبي (ﷺ) كورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل، أو هم فرقة من أهل الكتاب جلسوا وهم على دينهم، فتذاكروا أمر النبي (ﷺ) وما أنزل عليه من القرآن وقرئ عليهم من القرآن فخشعوا لله تعالى وسجدوا[١]. وثمة مسألتان تشيران إلى الصلة بين الإعراب والمعنى إحداهما: أثر معنى حرف الجر في تحديد المعنى المراد من السجود الذي يتضح من الآراء المذكورة حول معنى حرف الجر (اللام) في قوله تعالى: ((للأذقان))، الأول: أنها بمعنى (على) أي يسقطون على الأذقان وهي أقرب ما في الرأس إلى الأرض عند السجود[٢]، الثاني: أن اللام للاختصاص، فيكون المعنى أنهم جعلوا أذقانهم ووجوههم للخرور واختصوها به[٣]. والأرجح أن تكون اللام للاختصاص ، فلو كانت للاستعلاء لكان معناه أن الساقط على وجهه والخارُّ على ذقنه إنما يفعل ذلك اضطراراً من غير قصد ولا اختيار منه، فضلاً عما قد يحدثه ذلك السقوط من ضرر بخلاف لو كانت اللام للاختصاص، إذ سيكون المعنى أن الساجد لله تعبداً مقبلٌ بنفسه على السجود الذي يشرف الأعضاء ويعتقها من النار، فيجلب لها نفعاً وخيراً[٤]، يؤكد ذلك أن الساجدين من المؤمنين.

---

(١) ينظر: معالم التنزيل: ١٣٦/٥.

(٢) ينظر: م.ن، ص. ن، المحرر الوجيز: ٥١١/٣، مغني اللبيب: ٢٣٨/١، الدر المصون: ٤٢٨/٧.

(٣) ينظر: الكشاف:٦٧٢/٢، الدر المصون: ٤٢٨/٧.

(٤) ينظر: من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، الدكتور محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة- القاهرة، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م : ٢٤٤.

أما المسألة الأخرى فهي قوله تعالى: ((سجداً)) "التي انتصبتْ على الحال"[١]، لأنه ذُكر في تعريف الحال أنها "وصفٌ يبين هيأة الفاعل أو المفعول به في الوقت المُخبر به عنه"[٢]، فالوصف سجداً يبين هيأة صاحب الحال الضمير (الواو) في الفعل (يخرون) العائد على الذين أوتوا العلم وهي المسارعة إلى السجود حين يتلى عليهم القرآن الكريم. وجاءت الحال (سجداً) مفردة وليست جملة، فلم يقل: ((وهم سجدٌ)) لأن ذلك يعني أنهم يخرون للأذقان حين يكونون سجداً وهذا غير مراد[٣]. ووقوع (سجداً) حالاً "لبيان الغرض من هذا الخرور، وسجودهم سجود تعظيم لله عند مشاهدة آية من دلائل علمه وصدق رسله وتحقيق وعده"[٤]، يؤذن بذلك ما بين الحال وصاحب الحال من صلة معنوية تعزز المعنى المشار إليه والمقصد منه.

٥- ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ﴾[مريم : ٥٨] وردت هذه الآية الكريمة لتبين إنعام المولى (ﷻ)، على أنبيائه الكرام ولتصف حالهم عند سماعهم آيات ربهم. وبتأمل الآية تطالعنا مسألة تعدد أوجه الإعراب في قوله تعالى: ((خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا) ، إذ ذكر في إعرابه وجهان: الأول: " أن يكون سجداً حال مقدّرة المعنى[*]: خرّوا مقدِّرين السجود لأن الإنسان في حالة خروره لا يكون ساجداً... ، وبُكياً عطف عليه"[٥]. والثاني:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ٢١٦/٣، وينظر: مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ)، تحقيق: أسامة عبدالعظيم، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، ط١، ٢٠١٠م: ٢٧٩.

(٢) الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل ابن السرّاج(٣١٦هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة–بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ–١٩٨٥م : ٢١٣/١، وينظر: شرح المفصل: ٢/٤.

(٣) ينظر: معاني النحو: ٢٦٢/٢.

(٤) التحرير والتنوير: مج٦، ج٢٣٤/١٥.

(*) الحال المقدرة "وهي المستقبلة التي يكون وقوعها بعد زمن عاملها" ينظر: معاني النحو: ٢٤٢/٢.

(٥) معاني القرآن وإعرابه: ٢٧٤/٣، وينظر: إعراب القران، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النّحاس(٣٣٨هـ)، تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط٢، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م : ٢١/٣، البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات الأنباري(٥٧٧هـ)، تحقيق: الدكتور طه عبد الحميد طه، مراجعة: مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب–القاهرة، (د.ط)، ١٤٠٠هـ–١٩٨٠م : ١٢٨/٢.

سُجّداً حال مقدرة، وبُكيّاً مصدر على فعيل؛ بُكيّ ، على تقدير: بكوا بُكيّاً [1]، وكلا الوجهين مرادان، ففي الوجه الأول إشارة إلى هيأة أنبياء الله تعالى حين تطرق أسماعهم آيات خالقهم ووصف لحالهم من المبادرة والإسراع إلى السجود والبكاء، أي أنهم يخرون ساجدين باكين من خشية الله سبحانه. أما الوجه الثاني ففيه توسع في المعنى لأن المصدر (بُكياً) يفيد التوكيد والمبالغة، فأضيف إلى معنى المسارعة إلى السجود معنىً آخر هو شدة بكائهم، ولا غرو في ذلك، لأن المتحَدَّث عنهم هم أكثر الناس خشية لله تبارك وتعالى وأحقهم بذلك. وعليه فإن تعدد أوجه الإعراب قاد إلى توسع المعنى، مما أظهر جانباً آخر من جوانب الصلة بين الإعراب والمعنى، وأوضح أن (خشية الله تعالى) هي المقصد من السجود.

٦-﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾

[الحج : ١٨] ثمة مسائل عديدة في هذه الآية الكريمة تبدو فيها الصلة واضحة بين الإعراب والمعنى، فكل منهما يقود إلى الآخر، منها: أن الاسم الموصول (مَن) الذي يدل على العاقل هو فاعل السجود لأنه عائدٌ على الملائكة في السموات والبشر في الأرض، فضلاً عن أن عطف (الشمسُ) عليه يؤكد أن معناه الوظيفي هو الفاعلية. وأيضاً فإن العطف الذي تكرر بالواو أي عطف (والشمسُ والقمرُ والنجومُ والجبالُ والدوابُ) أفاد بسجود المخلوقات جميعاً لله تعالى، وهذا السجود إنما هو سجود طاعة وانقياد، يعزز ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء : ٤٤] [2].

وفي إعراب (كثيرٌ) في قوله تعالى: ((وكثيرٌ من الناس)) وجهان: أحدهما: أن يكون مرفوعاً بالعطف على (مَن) في قوله تعالى: ((يسجدُ له من في السموات))، وجاز ذلك لأن السجود بمعنى الانقياد، وكل مخلوق منقاد لأمر الله تعالى. والعطف هنا يكون كالتكرار الذي يفيد التفصيل وزيادة معنىً. والثاني: أنه مرفوع بالابتداء وخبره محذوف

(١) ينظر: إعراب القرآن: ٢١/٣، مشكل إعراب القرآن: ٢٩٢، البيان في إعراب غريب القرآن: ١٢٨/٢.
(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٣٩/٣، ٣٤٠، معالم التنزيل: ٣٧٢/٥.

تقديره: (وكثير من الناس مثابون أو ثبت لهم الثواب)، يدل عليه ما قابله من خبر في قوله تعالى: ((وكثيرُ حق عليه العذاب))[١]. ويلحظ في هذا الموضع أن تعدد وجوه الإعراب أدى إلى تغيير المعنى، فجاء مؤكداً وجود صلة بينهما.

أما قوله تعالى: ((وكثيرُ حق عليه العذاب))، فيجوز في (كثير) وجهان: أحدهما: الرفع إما على أنه مبتدأ لأن قوله تعالى: ((حقّ عليه العذاب)) يدل على أنه وكثيرٌ أبى السجود، لأن العذاب لا يحقّ إلا بترك السجود والطاعة، فرفع (كثيرٌ) بما عاد من ذكره في قوله تعالى: ((حق عليه)) التي هي بمنزلة أبى[٢] أي أن الكلام مستأنف مقطوع عما قبله، وكأن الجملة معادلة لقوله تعالى: ((وكثير من الناس)) الذي يعني أنهم موصومون بسجودهم يؤيد هذا قول الحق تعالى لاحقاً: ((ومن يهن الله فما له من مكرم))[٣].

ويحتمل أن يكون (كثيرٌ) معطوفاً على (مَن) في قوله تعالى: ((يسجد له من)) وجاز ذلك لأن المراد بالسجود هنا هو الخضوع والانقياد، فالكفار الذين حق عليهم العذاب خاضعون لقدر الله تعالى وتدبيره، منقادون لأمره فيهم[٤].

والوجه الآخر الذي يجوز في (كثيرٌ) هو النصب لأنه "بمنزلة قوله: ((فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة)) [الأعراف : ٣٠] ينصب إذا كان في الحرف واو دعاء ذكره بفعل قد وقع عليه"[٥]، أي أنه نصب على إضمار فعل نحو: أهان أو خلق أو سوى ذلك مما يدل عليه المعنى، فكأنه قال: أهان أو خلق كثيراً حق عليه العذاب[٦]، أي أن المعنى وجّه الإعراب في هذا الموضع. ولكل ما سبق يتضح جلياً أن مقصد السجود هو إظهار الانقياد لله تعالى والخضوع لأمره.

---

(١) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن: ١٧١/٢، التبيان في إعراب القرآن: ٩٣٧/٢.) ينظر: مشكل إعراب القرآن: ٣١٢.

(٢) ينظر: معاني القرآن: ٢١٩/٢، إعراب القرآن: ٩١/٣.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ١١٣/٤، الدر المصون: ٢٤٥/٨.

(٤) ينظر: مشكل إعراب القرآن: ٣١١، المحرر الوجيز: ١١٣/٤.

(٥) معاني القرآن: ٢١٩/٢.

(٦) ينظر : مشكل إعراب القران :٣١٢

٧- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الحج : ٧٧] ، جاء الترتيب في الآية الكريمة على النحو المذكور فيها، فابتدأ بالأمر بالصلاة وهي نوع من العبادة، وثنّى بالعبادة وهي نوع من فعل الخير ثم اختتم بفعل الخير وهو أعم من العبادة، فبدأ بخاص ثم بأعم(١). "وفي هذا الترتيب إيماءٌ إلى أن الاشتغال بإصلاح الاعتقاد مقدَّم على الاشتغال بإصلاح الأعمال، والرجاء المستفاد من (لعلكم تفلحون) مستعمل في تقريب معنى الفلاح لهم إذا بلغوا بأعمالهم الحد الموجب للفلاح فيما حدد الله تعالى"(٢).

وعليه يكون المقصد من السجود هو عبادة الخالق (جلَّ ذِكره) التي ستقود إلى الفلاح في الآخرة، يشير إلى ذلك أمور ثلاثة: الأول: وقوع لفظة (ربكم) مفعولاً به، فالفتحة دليل على المفعولية مما يدل على أن المقصود بالعبادة هو الله تعالى وحده مما يؤذن بالصلة بين الإعراب والمعنى. الثاني: مجيء لفظة (الخير) مفعولاً به لـ (افعلوا) ليبين أمر المولى تعالى عباده المؤمنين بفعل الخير وحضهم عليه. الثالث: أثر معنى الحرف العامل (لعل) في توجيه المعنى، و(لعل) هنا ليست بشك، بل معناها الرجاء في حق المؤمنين، أي لترجوا أن تكونوا على فلاح(٣). ومعلوم أن استعمال الفعل المضارع مع (لعل) التي تفيد الرجاء يجعله دالاً على الاستقبال(٤)، ولذلك استعمل الفعل (تفلحون) المتجرد عن عوامل النصب والجزم مع (لعل) ليشير إلى أن المقصود بالفلاح هنا هو الفلاح الأخروي الذي قيل عنه أنه "بقاءٌ بلا فناءٍ، وغِنىً بلا فقرٍ، وعِزٌّ بلا ذُلٍ، وعلمٌ بلا جهلٍ"(٥). ولكل ما ذُكر تتجلى الصلة بين الإعراب والمعنى.

٨-﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورًا ﴾ [الفرقان : ٦٠] تظهر في الآية المذكورة مسألتان تشير كل منهما إلى وجود صلة بين الإعراب

(١) ينظر: البحر المحيط: ٣٦٠/٦.

(٢) التحرير والتنوير: مج٧، ج٣٤٦/١٧.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٥٦/٣، المحرر الوجيز: ١٣٥/٤.

(٤) ينظر: همع الهوامع: ٣٤/١.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن: ٦٤٤.

والمعنى. الأولى: أثر معنى حرف الجر (اللام) مع الفعل (اسجدوا) في قوله تعالى: ((اسجدوا للرحمن)) في توجيه المعنى، فاللام هنا (للاختصاص)، مما يدل على الأمر بإفراد المولى تعالى بالسجود وهو المعنى المراد، لأن الخطاب موجه إلى الكفار الذين أبوا السجود لله تعالى. الثانية: نوع (ما) في قوله تعالى: ((وما الرحمن)) أنها استفهامية وهي "للسؤال عن حقيقة الشيء"[١]، والكلام هنا لكفار قريش الذين أمروا بالسجود لله تعالى اعترافاً بوحدانيته، ويجوز أن يكون هذا الاستفهام على سبيل التجاهل بصفة (الرحمن) التي لله مغالطة منهم، على الرغم من معرفتهم بالله وبتلك الصفة[٢]، أو يكون على سبيل الاستغراب لأنهم استفهموا عن معنى (الرحمن) ولذلك استعملت (ما) من دون (مَن)[٣]. ولكون (ما) استفهامية فإن لها صدر الكلام ومحلها الإعرابي هو الابتداء، ويكون (الرحمن) هو الخبر يؤيد ذلك علامته الإعرابية (الضمة)، وعليه فإن المعنى هو الذي وجّه الإعراب.

ويتضح مما سلف أن وجه السجود هنا هو إظهار مخالفة المشركين الذين أبوا السجود للرحمن ولم يمتثلوا لما أُمروا به، ولذلك سجد النبي (ﷺ) وسُنَّ السجود في هذا الموضع[٤].

٩-﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [النمل: ٢٥] ، ورد في قوله تعالى: ((أَلَّا يَسْجُدُوا)) قراءتان بالتخفيف والتشديد[٥]. فمن قرأها بالتخفيف (أَلَا يَسْجُدُوا) يكون المعنى : ألا يا هؤلاء اسجدوا على نية الأمر، بإضمار (هؤلاء) والاكتفاء بـ (يا) النداء[٦]، فتكون (ألا) لابتداء الكلام والتنبيه والوقوف عليه ألا يا،

(١) معاني النحو: ٢٢٤/٤.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٤٦٦/٦.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: مج٨، ج٦٢/١٩.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: مج٨، ج٦٢/١٩.

(٥) ينظر: حجة القراءات، أبو زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة (٤٠٣هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة–بيروت–لبنان، ط٢، ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م : ٥٢٦.

(٦) ينظر: معاني القرآن: ٢٩٠/٢.

ثم يستأنف فيقول: اسجدوا لله[١]. وحجتهم في ذلك قراءة ابن مسعود((هلاّ تسجدون لله)) وقراءة أبيّ ((ألا تسجدون لله)) وسماعهم عن العرب شعراً ونثراً، ومنه قول بعض العرب: "(ألا يا ارحمانا)، ألا يا تصدّقا علينا"[٢].

وفي قراءة التشديد (ألّا يسجدوا) وجوه كثيرة: أحدها: أن (ألّا) أصلها: أن لا، فتكون (أن) ناصبة للفعل بعدها، و (لا) حرف نفي، و (أن) وما بعدها في موضع نصب بدلاً من (أعمالهم) في الآية السابقة من قوله تعالى: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ، وما بين المبدل منه والبدل اعتراض تقديره: وزين لهم الشيطان عدم السجود لله و (لا) غير زائدة[٣]. الثاني: أن يكون في موضع نصب مفعولاً لـ (يهتدون) على إسقاط حرف الجر، أي: فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا، وتكون (لا) زائدة. الثالث: أن يكون في موضع جر على البدل من (السبيل) على معنى فصدّهم عن السبيل لئلا يسجدوا، فحذف الجار مع أن، و (لا) غير زائدة[٤]. الرابع: أن (أَلَّا يَسْجُدُوا) مفعول له، وفي متعلقه وجهان أحدهما: أنه (زيّن)، أي زيّن لهم لأجل أن لا يسجدوا، فتكون (لا) حينئذٍ ليست زائدة، بل هي على معناها من النفي، والثاني: أنه متعلق بـ (صدّهم) ، أي صدهم لأجل أن لا يسجدوا، فتكون (لا) زائدة والمعنى: وزيّن لهم لأجل خوفه من سجودهم وعدم الزيادة أظهر[٥]. الخامس: أنه خبر مبتدأ مضمر إما أن يعود على (أعمالهم) على تقدير: هي أن لا يسجدوا، فتكون (لا) على بابها من النفي[٦]، أو يعود على (السبيل) على تقدير: هو أن لا يسجدوا، فتكون (لا) زائدة ليصح المعنى[٧].

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٨٧/٤.
(٢) ينظر: معاني القرآن: ٢٩٠/٢.
(٣) ينظر: إعراب القرآن: ٢٠٦/٣، البيان في غريب إعراب القرآن: ٢٢١/٢، الدر المصون: ٦٠٢/٨.
(٤) ينظر: الكشاف: ٣٥٠/٣ ، البيان في غريب إعراب القران: ٢٢١/٢، الدر المصون: ٦٠٢/٨.
(٥) ينظر: البحر المحيط: ٦٦/٧، الدر المصون: ٦٠٢/٨.
(٦) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٠٠٧/٢، الدر المصون: ٦٠٢/٨.
(٧) ينظر: الدر المصون: ٦٠٢/٨.

وذكر أن قراءة التشديد لا ينبغي لها أن تكون سجدة، لأن المعنى حينئذٍ سيكون: زيّن لهم الشيطان ألاّ يسجدوا[١]، وفي ذلك نظر، "لأن مواضع السجدة إما أمرُ بها، أو مدحُ لمن أتى بها، أو ذمٌ لمن تركها، وإحدى القراءتين أمرٌ بالسجود والأخرى ذمٌ للتارك" [٢]، فضلاً عن أن "مآل المعنى على القراءتين واحد وهو إنكار سجودهم لغير الله، لأن الله هو الحقيق بالسجود"[٣]. ومن هنا يبرز أثر اختلاف القراءات في تعدد وجوه الإعراب ومن ثَمَّ تغير المعنى.

١٠. ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾

[السجدة: ١٥] تضمنت هذه الآية مجيء الحال مفردة في قوله تعالى: ((سُجَّداً))، أما صاحب الحال فهو الضمير (الواو) في الفعل (خرّوا) العائد على الاسم الموصول (الذين) وهم المؤمنون بآيات الله وبكتابه الكريم، وعليه فإن وقوع (سُجَّداً) حالاً جاء موافقاً لمعنى الآية. إذ وصف هيأة المؤمنين ليتضح القصد من سجودهم وهو التواضع لله تعالى والخضوع لأوامره[٤]. ومجيء الحال هنا في سياق الشرط دل على تعلق حصول الجواب بحصول الشرط وتلازمهما[٥]، أي أن التذكير بآيات الله والموعظة الحسنة تُحدث في نفوس المؤمنين تأثيراً يقود إلى الخضوع لأوامر الله تعالى والانصياع لها.

وجاءت جملة الحال الاسمية (وهم لا يستكبرون) مؤكدة ما حملته الحال المفردة من معنى الخضوع لله والانقياد لأوامره، وارتبطت بما سبقها بالرابط اللفظي (واو الحال)، وورد نفي التكبر عن المؤمنين بالمسند الفعلي لإفادة اختصاصهم بذلك بخلاف المشركين الذين كان خلقهم الاستعلاء والتكبر عن آيات الله فضلاً عن رفضهم اتباع نبيه (ﷺ) وتصديق ما جاء به[٦].

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٨٨/٤.

(٢) الكشاف: ٣٥٠/٣.

(٣) التحرير والتنوير: مج٨، ج٢٥٦/١٩.

(٤) ينظر: الكشاف: ٤٩٦/٣.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: مج٨، ج٢٢٨/٢١.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: مج٨، ج٢٢٨/٢١.

١١. ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ص : ٢٤] في هذه الآية إشارة إلى الصلة بين الإعراب والمعنى في قوله تعالى: ((راكعاً)) الذي انتصب على الحال[١]، لأنه بين هيّأة صاحب الحال – وهو هنا النبي داود (عليه السلام)– حين خروره وسقوطه إلى الأرض ساجداً لله تعالى، فالمعنى هنا وجّه الإعراب لأن "هناك جانب معنوي لابد من مراعاته عند ترابط الحال، وهو دلالة الحال على هيأة صاحبه، وهذا الجانب المعنوي له أهميته في التفريق بين الحال وكثير من المنصوبات الأخر"[٢].

وربما كان المراد هنا أن "يُعَبَّر عن السجود بالركوع"[٣]، وذلك "ليفهم أنه كان عن قيام وأنه في غاية السرعة لشدة العناية به وتعرض الداعي إليه، إذ أنه وصل إلى السجود في مقدار ما يصل غيره إلى الركوع"[٤]، لأن المقصد من السجود في هذا الموضع هو (التوبة) أي توبة النبي داود (عليه السلام) إلى الله تعالى مما حصل له مع الخصمين. وتتمثل الصلة المعنوية بين الحال وصاحبه هنا في أن سرعة السجود المعبر عنها بالركوع تتلاءم مع سرعة التوبة إلى الله (ﷻ).

١٢. ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٧] يظهر في هذه الآية الكريمة جانب آخر من جوانب الصلة بين الإعراب والمعنى إذ "يتدخل معنى الحرف الوظيفي في تغيير العلامة الإعرابية فيتغير المعنى تبعاً لذلك"[٥]، ففي قوله تعالى: ((لا

(١) إعراب القرآن: ٤٦١/٣، وينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٠٩٩/٢.

(٢) الوظائف الدلالية للجملة العربية دراسة لعلاقات العمل النحوي بين النظرية والتطبيق، الدكتور محمد رزق شعير، مكتبة الآداب–القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م : ١٦٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٨٢/١٥، وينظر: البحر المحيط: ٣٧٦/٧.

(٤) ينظر: نظم الدرر في تفسير الآيات والسور، أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ)، دار الكتب العلمية–بيروت–لبنان، (د.ط)، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م : ٣٧٦/٦.

(٥) الإعراب والمعنى في القرآن الكريم: ١٧٩.

تسجدوا)) يتضح أن (لا) جازمة لأنها عملت الجزم في الفعل المضارع الذي يليها(تسجدوا) بدليل حذف النون من آخره ومن ثَمَّ فإن المعنى سيكون النهي عن السجود لمخلوقات الله، وعليه فإن القصد من السجود في هذه الآية هو توحيد الله تبارك وتعالى وإفراده بالعبادة.

والنهي – كما هو معلوم– أسلوب إنشاء طلبي، ولو رفع لكانت (لا) نافية وليست ناهية ولأصبح المعنى إخبار عن نفي سجود المخاطبين لمخلوقات الله وهو غير مراد، لأن القرآن الكريم حين نزوله على النبي محمد (ﷺ) كان في الناس من يعبد الشمس والقمر والكواكب من دون الله تعالى، ولا يزال الإشراك بالله قائماً إلى يومنا هذا.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ﴾ [الانشقاق : ٢١] فإن (لا) الواردة في الآية جاءت للنفي فهي غير عاملة بدليل ثبوت النون في الفعل المضارع، فيكون المعنى نفي سجود الكفار الذي جاء في سياق شرطي، فهم لا يخضعون ولا يذلون بالانتهاء إلى طاعة الله تعالى[١] أو يخشعون عند سماعهم القرآن الكريم، لأن قراءته عليهم قراءة تبليغ ودعوة من لدن النبي محمد (ﷺ)، حين كان يعرض عليهم القرآن الكريم جماعات وأفراداً[٢].

وعليه فإن (لا) ليست جازمة هنا لأنها لو كانت كذلك فإن المعنى سيتغير ليكون نهياً للمخاطبين وهم الكفار عن السجود عند تلاوة القرآن الكريم، أي دعوتهم للاستكبار والعتوّ فوق عتوّهم وهو خلاف أمر الله تعالى ومراده، مما يرجح أن يكون القصد من السجود هو (الخشوع) لأن الساجدين هم المؤمنون الذين يتدبرون القرآن الكريم عند سماعه فتخشع قلوبهم لذكره بخلاف الكفار.

وعلى هذا النحو جاء قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ﴾ [العلق : ١٩] ، إذ تبدو الصلة واضحة بين الإعراب والمعنى في قوله تعالى: ((لَا تُطعْهُ))، فقد وردت (لا) هنا جازمة بدليل العلامة الإعرابية (السكون) التي هي علامة جزم الفعل المضارع، ولما كانت (لا) جازمة فلابد أن تفيد معنى النهي، وحينئذٍ يكون المعنى نهي الله تعالى

(١) ينظر: إعراب القرآن: ١٨٨/٥، البحر المحيط: ٤٤٠/٨.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: مج١٢، ج٢٣٢/٣٠.

نبيه محمد (ﷺ)عن طاعة أبي جهل في ترك الصلاة أو غيرها وعدم الالتفات إليه فيما يقول[1]، ولو كانت (لا) نافية لارتفع الفعل بعدها ولاختلف المعنى من النهي إلى النفي، أي نفي طاعة النبي (ﷺ) لأبي جهل، وما يؤكد معنى النهي قوله تعالى فيما سبق من آيات: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ [العلق : ٩،١٠] وعليه فإن الغرض من السجود هنا هو (العبادة).

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٥٠٣/٥، نظم الدرر: ٤٨٨/٨.

الخاتمة

بعد البحث والتقصي في آيات السجدة سعياً للكشف عن الصلة بين الإعراب والمعنى في تلك الآيات وصل البحث إلى نهايته، بعون الله تعالى، فكان لابد من التعريف بأبرز نتائجه التي تمثلت بوجود أوجه عديدة للصلة بين الإعراب والمعنى منها:

١. أثر المعنى في توجيه الإعراب على نحو ما وُجد في التمييز بين واو العطف وواو الاستئناف في الآية من سورة الأعراف وأيضاً في قوله تعالى: ((وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَاب)).
٢. أثر الإعراب والمعنى معاً في تحديد المعنى الوظيفي للمفردة في الإعراب المحلي.
٣. تعدد الأوجه الإعرابية أدى مؤداه في اتساع المعنى.
٤. أثر معنى الحرف العامل في توجيه المعنى.
٥. أثر اختلاف القراءات في تعدد وجوه الإعراب الذي يقود إلى تعدد المعنى.
٦. تنوع مقاصد السجود الذي نجم عن تنوع المعنى وتعدد وجوه الإعراب.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

The Relationship between Declension and Meaning in Al - Sajda veres in the Glorious Qur'aan

Dr. Mona Fadel Ismail

ABSTRACT

The current study aims at investigating the relationship between declension and Meaning in Al Sajda - veres in the Glorious Qur'aan . The study also attempts to find the sort of relationship that holds between declension and meaning so as to realize the intention behind the use of 'sujood' (lit. adoration) in each particular verse where it is used. As declension and meaning have mutual relationship, it is found that declension guides to understand the meaning of 'sujood' in some verses whereas meaning leads to declension , especially in verses where there is more than one aspect of declension as far as the term 'sujood' is concerned.

The paper comes in 3 sections. section 1 traces back the phenomenon of declension linguistically , section 2 explaines the relation ship holding between declension and meaning and section 3 includes the analytical part of the verses of 'sujood' in accordance with their occurrence in the Glorious 'Qur'aan' . The paper concludes with some results and findings .